

مقاربة نقدية

بين نصي: لا تحزن لعائض القرني، ونسيان com لأحلام مستغانمي

أ / هدى ملاحي
جامعة الجزائر 2

أحاول في هذه المقاربة... الدخول إلى عالم نوع من النصوص الأدبية؛ التي تحمل في توجهها الخاص طريقة مفارقة في الطرح مرتكزتا في ذلك على تجربتين إنسانيتين هما: عالم النسيان والحزن من خلال كتابي: (نسيان com) لأحلام مستغانمي⁽¹⁾، وكتاب (لا تحزن) للدكتور عائض القرني⁽²⁾.

أقول "كتاب"، وأنا أمام كتابين مختلفين في توجههما اختلافا واضحا في الرؤية والعرض وفي اللغة وفي أدوات الطرح وفي التعامل مع اللغة، وأبلغ من ذلك الاختلاف في المرجعية الذهنية والفكرية والإيديولوجية، هذان الكتابان ليسا مجرد كتابين عاديين ولا روايتين أو قصتين، بل هما مجموعة نصوص أو استنتاجات حول / في / مفهوم النسيان، بروح أدبية ولغة جميلة، وهما في العمق محاولة صامته عن طريق الكتابة للتفيس عن الذات والبحث عن الإحساس بالأمان والدفء عبر إيقاع اللغة الرقيقة المرهفة، وقد جاء خطاب (نسيان com) تعبيرا وجدانيا عن لحظات الحزن المؤثرة في حياة أحلام مستغانمي، في حين جاء خطاب لا تحزن لعائض القرني محاولة أو رغبة في التخلص من الحزن أو تجاوز أسبابه، ومن خلال عملية الكتابة وجد كل منهما ضالته في إعادة صياغة الكون، والتعبير عن الوجود الإنساني.

النسيان وفلسفته الأدبية من منظور أحلام مستغانمي (فتنة الأنوثة وأدوات الخطاب في نسيان com)*:

تقدم لنا أحلام مستغانمي كتابها في نبرة أنثوية عالية ترتبط بتخصص نسائي محض... مما يجعل الكتاب أشبه ب: دعوة لكل امرأة تبحث عن النسيان، وهو بداخلها، وهو نسيج إبداعى يمكن أن يدرج ضمن ما يسميه سعيد يقطين الرؤية السردي الكبرى⁽³⁾.

نسيان com... هو نوع آخر من الكتابة عند أحلام مستغانمي، فالقارئ ليس أمام رواية يسحرها الغموض، وتزينها روعة الأسلوب... ولسنا أمام رواية محملة بمعاني الحب والوطنية والتمرد... إنما نحن في مواجهة كتاب تخاطب فيه القارئ مباشرة دون وسيط، أو حيك قصصي أو شخصيات سردية معينة.

وقد حاولت أحلام مستغانمي تبرير هذا الموقف بقولها: " كتابي الجديد علاج للنساء بواسطة الضحك"، أي أنه علاج بواسطة الضحك للنساء اللواتي يعانين صدمات عاطفية (4).

إن الكتاب بهذا الشكل مختصر ابستمولوجيا في جملة من الأهواء الوجدانية كما يصطلح عليها غريماس (5) وهي تتمثل عند أحلام مستغانمي في هذا الكم الهائل من العناوين الموجهة خطايا إلى الشائئ المرأة/الرجل إما من باب التعنيف أو السخرية أو النصح أو الشتيمة أو المصارحة أو الصراخ أو العتاب الشديد أو التذکر أو التذكير أو التنبيه أو التوضيح أو الأمر... . نصوص تتضمن دعوة إلى المرأة كي تتفوق على الرجل حبا أو الصمود أمامه، أو هوردة نسائية ضد الذكورة بأسلوب أحلام (نسيان com، ص 11)، ومن خلال هاتف النسيان تخاطب صديقاتها وتفتح أبواب العشق كي تعلن ورطتها في النساء، هذه الأهواء وغيرها هي التي تترجم البعد السيميولوجي الذي ترسو عليه أوراق نسيان كوم، بوصفها علامات دالة على أشكال من الغيرة الأنثوية التي تجمع بها روح أحلام مستغانمي، والتي ترفض أن تكبح أو تقمع، وقد كان نسيان كوم خطابا مفعما بهذه الغيرة وبهذه الروح المزدهمة بالأفكار المناوئة للرجل في شكل تمنع لا تقدر عليه إلا المرأة بفطرتها الساحرة.

وقد قالت في هذا الشأن عبر مقابلة مع وكالة فرانس برس أن " فكرة الكتاب انطلقت من صديقة تعيش قصة فراق موجعة. . كان الرجل الذي تحبه يتصل بها يوميا عند التاسعة صباحا، وظلت حتى بعد أن افترقا تستيقظ يوميا في الوقت نفسه (على الساعة التاسعة صباحا)، وتضيف الكاتبة: "لأنسيها انتظارها رحت أتصل بها في الساعة إياها لأروي لها كل يوم قصة كما كانت تفعل شهرزاد مع الملك، الفرق أن شهرزاد كانت تروي القصص ليلا، أما أنا فرحت أرويها لصديقتي نهارا حتى تتوقف عن حب ذلك الرجل، عساني أخرج شهرير من رأسها، وهكذا تبدأ قصة الكتاب" (6).

ها هي أحلام ترسم لصديقتها فلسفة الحب الكبير وفلسفة النسيان من منطقتها الخاص بهذا الشكل الشعري (7):

"أحبيه كما لم تحب امرأة"

وانسيه كما ينسى الرجال

صاحت.. يا الله اكتبيها.. (8)

يأتي هذا الكلام من خلال مكالمات هاتفية صباحية أسمتها أحلام "هاتف النسيان"، وهو فصل كامل في الكتاب تلاه فصل آخر بعنوان (نصائح بقطيع من الجمال) شففته بمقولة للإمام علي نصها: "من حذرک کمن بشرك" (نسيان com، ص 81).

جاء هذا الكتاب مبنيا بطريقة مختلفة تماما عما كتبه من قبل، إنها تكتب هذه المرة خصيصا للمرأة، حسب ما يصرح به الكتاب منذ الوهلة الأولى، بدءا بالتصدير ثم الإهداء.

جاء الكتاب بأسلوب سلس، وسهل، ممتع وممتع وشيق في الحقيقة، وقد أجادت أحلام في تقنياتها السردية، وفي لعبتها اللغوية، وفي أدواتها التعبيرية، أبانت فيه عن قدرة هائلة في حسها الأدبي، المرتبط بامتلاكها لغة عربية ذكية جدا، تدل على امتلاك عميق للذكاء اللغوي، والقدرة على التلاعب بالكلمات واستعمال عبارات التشبيه والمجاز بصوره وأشكاله المختلفة المعبرة عن الذات المبدعة، وهو ما يدفع بالقارئ الرجل الممنوع من قراءة هذا الكتاب حسب ما صرحت به أحلام بوضعها علامة دائرية في شكل ختم عبارة تقول: "يحضر بيعه على الرجال"⁽⁹⁾، كما يدفع القارئة المرأة التي كتبت أحلام مستغنامي هذا الكتاب من أجلها خصيصا، إلى تصفحه والتواصل معه من باب الفضول أو الاستغراب أو المغامرة أو حب الاكتشاف، وربما قرئ الكتاب من باب المناورة من ناحية الرجل، أما المرأة فإنها تجد فيه حلولا عاطفية للكثير من مشاكلها على امتداد أكثر من 85 خطابا أو مقالا بمعنى آخر.

جاء فحوى الكتاب منفسا عن المرأة. يتضمن نصحا وتوجيها للمرأة العربية كي تتسبب حبا وهمومها ومشاكلها، وحتى مآسيها مع الجنس الآخر (الرجل)، وتقصد الرجل العربي المستغل للمرأة في شقها العاطفي باعتبارها عنصرا فاعلا في مشاكل حياتها اليومية، وفي هذا الصدد ترى أحلام بأنه ومن خلال عملية النسيان للماضي وللذاكرة ترتاح المرأة كثيرا من همومها ومعاناتها. دون أن تكون مرغمة على تذكر ذكرياتها وإعادة شريط معاناتها مع الذي أحبته على اعتبار - بالنسبة لأحلام - أن تخلي الرجل عن المرأة التي أحبته ونكرانه لجميلها وحبها وإخلاصها أيضا له ليست نهاية العالم، ولا يستحق منها أن تقف بحياتها لأجله، وعليه يجب أن تتحلى بالقدرة على النسيان في أي لحظة وقع فيها الانفصال، وتكون بذلك قد اكتسبت خبرة تساعدها على الدخول في علاقة جديدة وممارسة عملية أخرى ناجحة أو أكثر نجاحا، أو أقل خسارة⁽¹⁰⁾.

إن الرجل بالنسبة لأحلام ملك النسيان. فقد ينسى زوجته بسهولة. . ينسى حبيبته، وينسى حتى حبه لها. . وحبها له، ينسى عشرة الأيام والسنين. مهما كان حبه لها عميقا وكبيرا، وقد يخونها في أقرب فرصة حتى وإن كان ابتعاده عنها لأسباب قاهرة، كأن يسافر مثلا ويصادف في طريقه امرأة تحقق له ما ينقصه في تلك اللحظة، بابتسامة تحمل الكثير من الدلع، والتودد والغنج، وفي المقابل تتألم المرأة الزوجة لفراق زوجها، وتبكي من شدة حبه لها⁽¹¹⁾.

إن أحلام مستغنامي بهذا الشكل واقعية إلى حد السحر مشدودة إلى هذا الواقع الذي تشوبه ثقافة القمع للمرأة التي تستهلكها مفارقات المجتمع وتجبرها على أن تكون دائما كائننا ضعيفا.

إن أحلام بهذا المعنى ترفض مصادرة الشعور الإنساني العميق للمرأة وترفض ثقافة السيد التي غداها وكشف عورتها نجيب محفوظ دون تعصب⁽¹²⁾.

في مقابل حديث أحلام مستغانمي عن المرأة، تتكلم عن الرجل والرجولة وتنتقد مفهومها الدارج في مجتمعاتنا العربية في العصر الراهن في قولها: " من قال إننا نهجس بتلك الفحولة التي تباع في الصيدليات؟ ، أو تلك الذكورة النافضة ريشها التي تفتح أزوار قمصانها لكي تبدو السلاسل الذهبية الضخمة، وما فاض من عشب⁽¹³⁾. وتختصرها في مقولة كاتب فرنسي "الرجل الحقيقي ليس من يغري أكثر من امرأة، بل الذي يغري أكثر من مرة المرأة نفسها" (ص13)، وفي هذا السياق لا تتردد الكاتبة في التوجه إلى الرجال الذين تسللوا إلى هذا الكتاب (ص11) أن يتعلموا من أخطاء غيرهم من الذكور وأن لا يكون الظلم أسطورتهم المفضلة لأن للرجل الظالم حسبها يوم (ص135) لذلك تنصح المرأة بأن لا تصدق الأساطير لأن مؤلفيها رجال ولا ترى حرجا أن تفصح بأنوثه عالية بالتسلح بالشوكولا (ص149)، تستعرض لهذا الموقف عطر النسيان (ص201) كي تحبط مؤامرات الرجل (ص205) مع التجميل بذاكرة البدايات (ص263) وتجنب الأغاني العاطفية ما لم تكن هذه المرأة مازوشية (ص131).

هذا الدفتر الذي تسوقه لنا أحلام يكشف عن طبيعة الأثني حين تغضب وحين تستنفر كيانها للرد على الرجل، تمارس ضعفها الأثني أحيانا وتطلق مخالباها في محاولة للظهور بموقف الأثني المسترجلة، وقد دافعت عن الرجل دفاعها عن المرأة بنوع من الدهاء الأثني، وهو ما تعبر عنه أحلام في نهاية الكتاب بقولها: ".... وأقسم بالله العظيم والله ثم والله، إن لم تتعظن، لأكتبن كتابا خاصا بالرجال يحظر بيعه عليك أسدي فيه نصائح لنسينكن" (ص218).

تمارس أحلام السياسة، حتى وهي تخاطب النساء، وتدعو من خلالهن في هذا الكتاب إلى تشكيل حزب سياسي كي يلتف حول مفهوم النسيان وأهميته بشكل عام، وكيف لهذا الحزب أن يلقى الدعم من أنظمة الحكم العربية، وهذا ما تقوله أحلام في قولها " أمام هذه الجماهير الطامحة إلى النسيان المناضلة من أجل التحرر من استبعاد الذاكرة العشقية.. فقد كان ضروريا تأسيس حزب عربي للنسيان، سيكون حتما أكبر حزب قومي، فلا شرط للمنخرطين فيه سوى توقعهم للشفاء من خيبات عاطفية.. تقول أحلام: " إلى من يشاركني الرأي، ويود الانخراط في حزب جديد، لا ذاكرة له، ولا سوابق مصرفية ولا تاريخ دموي، ولا شعارات نضالية، أو أصولية، بإمكانه الانضمام إلينا في موقع: www.nessyane.com (14).

وتواصل أحلام الحديث في كتابها عن أهمية النسيان بالنسبة للمرأة في نسيانها للرجل الذي خانها، وسبب لها الألم بأسلوب ساخر فتقول: "أيها الناس اسمعوا وعوا، لا أرى لكم والله من خلاص إلا في النسيان"، والمفيد هنا أن أحلام مستغانمي تدعو المرأة إلى (النسيان) بوصفه (علاجاً روحياً) لمداواة ضعفها، واكتشاف ذاتها لمعرفة أسرار الحياة وتشابكاتهما، معبرة بذلك عن رؤية إستراتيجية اجتماعية إزاء المرأة والرجل، ويمكن أن توصف هذه الكتابة بأنها عبارة عن خواطر سردية من شأنها أن ترسي معايير إبداعية تضاف إلى مقولات السرد كما شرحتها جيران جينيت في مصنفاته النقدية وخاصة كتابيه: **figures3** و **figures2**⁽¹⁵⁾.

لقد رأت أحلام مستغانمي في النسيان نعمة للمرأة، وقد صدقت في ذلك، فما سمي الإنسان إنسانا إلا لأنه كثير النسيان ولولا النسيان لكانت الحياة جحيما لا يطاق لأن تعرض الإنسان للمواقف الصعبة والحزينة من فقد عزيز مثل الأب أو الأم سيجعلنا نعيش الحياة كلها تعاسة وحزنا.

ولعل هذا هو العنصر الذي ينقلنا لتصفح عمل آخر يتداخل مع موقف أحلام الإنسانى لكنه يطرح الموضوع بشكل مفارق وبآليات مفهومية مغايرة لذلك نتساءل أي الكاتين كان أبلغ في التعبير عن مفهوم النسيان، عائض القرني أم أحلام مستغانمي؟.

أدبية النسيان وفلسفته عند عائض القرني (عبه الذاكرة وانتصار الروح):

يدعو عائض القرني الرجل والمرأة إلى نسيان الحزن وتقاديه، والعمل على تحاشي أسبابه ومسبباته لذلك يقدم للقارئ الرجل والمرأة على حد سواء، كتابا ضمنه فكرة الدعوة إلى الابتعاد عن الحزن بكل أشكاله الإنسانية، وقد جاء كتابه لا تحزن في صيغة لغوية تعبر عن النهي المبرح الذي لا نقاش فيه، وقد تضمن الكتاب مجموعة كبيرة من النصوص الدينية والحكم والأبيات الشعرية والأمثال والقصص المتصلة بمعالجة موضوع الحزن واليأس وفقدان الأمل لدى الناس.

يحاول صاحب الكتاب أن يعطي أدوية روحية وعلاجات نفسية ينطلق فيها من الإسلام والتجارب الإنسانية عبر التاريخ ولدى مختلف الأمم.

يمثل هذا الكتاب في اعتقادي بارقة أمل لكل من أظلمت عليه الحياة، وضافت به السبل وأصبح عاجزا عن الفعل، إنه ترياق الحائرين وبلسم. الحزانى والمجروحين. من النساء والرجال، وربما أراد به الكاتب شمة ثقافية تضيء قلوب الحائرين المتعبين من ذوي القلوب المرهفة والوجدانات الرقيقة.

يخاطب عائض القرني جميع القراء وكل إنسان يحتاج إلى بارقة أمل في ظلام اليأس، ولا يخص به طائفة معينة أو جيلا بعينه، أو بلدا بذاته. بل هو كما قال صاحبه كتاب موجه " لكل من أراد أن يحيا حياة سعيدة. . ." (لا تحزن، ص 15) فهو الكتاب، الذي يقول للقارئ باختصار " اسعد واطمن وأبشر وتفاءل ولا تحزن". (لا تحزن، ص6) وذلك من خلال تقديم نصائح للقارئ الحزين الذي ينتظر الحلول الموضوعية بفطرة كثيرا ما يغلب عليها الخوف من المستقبل والاشمئزاز من الحاضر.

النسيان الداء والدواء في منظور أحلام مستغانمي وعائض القرني:

مقاربة نصية: إن قارئ كتاب عائض القرني. وكتاب أحلام مستغانمي. يجد نفسه أمام خطاب خاص من نوع جديد من الكتابة. التي عرفت إقبالا كبيرا عليها من طرف القراء. . . الباحثين عن حلول سحرية لمشاكلهم وانشغالاتهم. . . قراء يبحثون عن متنفس من

نوع آخر... متفلس جمالي يحقق لهم الشعور بالسلام الداخلي والإحساس بالطمأنينة والأمان والدفء... .

لهذه الاعتبارات أجدني في الحقيقة أقيم مقارنة نقدية بين نصين عرفا انتشارا واسعا في الأوساط الثقافية وغير الثقافية... لدى القارئ الهادي، والقارئ المثقف على حد سواء.

1- من أهم الأسباب التي ساهمت في انتشار كتاب "لا تحزن" لعائض القرني ونسيان com لأحلام مستغنامي خلافا لكثير من الكتب الأخرى. هو اختيار كل منهما موضوعا يلامس حياة القارئ، ويدغدغ فيه لمسة إنسانية خاصة... .

فيقدر ما يلامس كتاب "لا تحزن" انشغالات الناس وينزل لمعالجة معاناتهم اليومية، وما يقدم لهم من حلول لمشكلاتهم المعيشية، ويقدر كون أسلوبه في تناول غالبية القراء، وبمقدار تواضع المؤلف وبعده عن الاستكبار المعرفي، فإن موضوع الكتاب في حد ذاته يعالج قضية يعيشها كل إنسان، فلا يوجد كائن بشري على هذه الأرض خاليا من الأحزان... بعيدا عن معاناة النفس وغدر الزمن... .

كل هذا وغيره، فتح أمام هذا الكتاب فرصة ليتواصل مع ملايين القراء، إلى درجة أن المؤلف طبع على غلاف نسخته الخامسة والعشرين الأصلية الجديدة والمعدلة والمنقحة في أسفل الصفحة شكلا دائريا، في شكل نجمة حمراء كتب داخلها بخط أصفر مثير "الكتاب العربي الأول مبيعا في العالم" وكتب على غلافه في أعلى الصفحة بخط أبيض بارز فوق اللون البنفسجي عبارة: "الكتاب الذي بيع منه أكثر من 3 ملايين نسخة (انظر غلاف لا تحزن، ط 25)

إن هذا الكتاب الذي تجاوزت مبيعاته كل الأرقام المعروفة في سوق الكتاب العربي، من البديهي أن ينظر إليه انطلاقا من منظور نظرية القراءة أنه كتاب مثير للجدل، قابل للاستهلاك، مما يجعله كتابا مهما في تاريخ الأدب، لما تضمنه الكتاب من قدرة على تفعيل الصلة بين النص والقارئ⁽¹⁶⁾، حيث تمثل مسألة العلاقة بين النص والقارئ مسألة مهمة لأنها تركز على الجانب التواصل وتغطي للتواصل الأدبي بعدا غنيا ومفيدا يكرس فكرة الاستهلاك، بوصفها المعيار الملائم لتقييم درجة التلقي⁽¹⁷⁾.

إن (رقم المليون) كان قبل كتاب (لا تحزن) شيئا ينتمي إلى عالم الأمنيات في سوق النشر العربية، - أو هكذا تقول وسائل الإعلام- التي اعتادت دور النشر فيها على طباعة ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف نسخة من العناوين الجديدة... ولذلك فإن هذا الكتاب أصبح اليوم أشهر من أن يشار إليه أو إلى مؤلفه الذي أثار الكثير من النقاش والتساؤل حول حجم مبيعاته ومدى انتشاره الذي أذهل الجميع بما في ذلك المؤلف والناشر قبل أن يفاجئ الجمهور ويكسر تلقيه كل التوقعات.

وفي مقابل ذلك عرف كتاب أحلام مستغانمي أيضا انتشارا واسعا، خصوصا في الأوساط الشبابية، إذ زيادة على موضوعه الملفت للانتباه، فإن منع أحلام مستغانمي انفتاح "النسيان" على القارئ من جنس الذكر، من خلال تخصيصها في أعلى يسار غلاف الكتاب لذلك الختم وباللون الأحمر عبارة "يحظر بيعه للرجال" قد ساهم في إذكاء روح المبادرة والتحدي، وشجع القارئ الذكر على تصفح (النسيان) علما أن الذكر في النسيان كان عنصرا فاعلا في المعادلة القائمة على النحو التالي:

حب = رجل + امرأة ← نسيان.

ولابد من الإشارة إلى أن أحلام عندما اعتمدت تلك العبارة على غلاف الكتاب كانت تضمّر رغبة مقصودة في التشهير والمزايدة، وقد نجحت في ذلك، إذ زادت من شهرة الكتاب وتضاعفت مبيعاته تبعا للمبدأ القائل "كل ممنوع مرغوب" فقد سعى القارئ الرجل ممنوع من قراءة الكتاب إلى الحصول عليه، كما زاد المرأة حماسا في قراءته بوصفه مخصصا لها ممنوعا على الرجال... الأمر الذي رفع مصداقية أحلام مستغانمي في استهلاك (النسيان) وجعلها تقفز أدبيا إلى أن تكون من بين النساء العشر الأكثر تعبيرا في العالم العربي... حيث تجاوز حجم مبيعات كتبها مليون وثلاثمائة ألف نسخة حسب ما ورد في غلاف النسيان. وهو ما تؤكده مجلة "forbes" الأمريكية التي اختارتها من بين النساء العشر الأكثر تأثيرا في العالم، الأولى في مجال الأدب بتجاوز مبيعات كتبها مليونين وثلاثمائة ألف نسخة. وحسب مجلة Arabian Business فقد احتلت المرتبة 49 بين أقوى 100 شخصية عربية⁽¹⁸⁾.

كيف لا: وهي التي تقول عن نفسها: "ثمة امرأتان في داخلي هما أحلام وأحلام مستغانمي. أحلام لا تكف عن الضحك مما يحصل لأحلام مستغانمي. أنا لا آخذ نفسي مأخذ الجد. امرأة تأخذ الكتابة بجدية وهذا سر نجاحي".⁽¹⁹⁾

2- ساهم الحضور الإعلامي، لكل من عائض القرني وأحلام مستغانمي بطريقة أو بأخرى في انتشار كتابيهما. أعطاهما بعدا ثقافيا وفكريا وفنيا ليس من اليسر أن يبلغه كتاب آخر.

فعاوض بحسب له ظهوره في العديد من القنوات الفضائية بشكل مستمر، المتميز بأسلوبه البسيط في مخاطبة المشاهدين، وهو الأمر الذي أعطاه قبولا ومصداقية، وعزز هذا القبول لديهم خطابته المتشبع بالنصوص الدينية، ولا يحفى ميل ملايين الناس في العالم العربي إلى هذا النوع من الأسلوب في الطرح، وربما كان هذا سببا مهما في شيوع الكتاب وسط القراء.

الأمر نفسه بالنسبة لأحلام الحاضرة إعلاميا بقوة، بأسلوبها السلس، من خلال مقالاتها المختلفة وحوادثها في عدد من المجالات العربية، خاصة تلك التي تتشر لها بشكل دوري مثل مجلة زهرة الخليج ومجلة كل العرب والحوادث والحوادث والمستقبل، ناهيك عن المتابعات الإعلامية التي

تحظى بها أعمالها الروائية، إذ لا يكاد منبر إعلامي ثقافي يخلو من إشارة أو وقفة عند إحدى روايات أحلام مستغانمي، يضاف إلى ذلك هذا الكم الكبير من الأبحاث العلمية والمقالات النقدية في مختلف المقالات الثقافية والمتخصصة مثل مجلة الموقف الأدبي السورية أو مجلة عمان الثقافية أو مجلة نزوى العمانية ومجلة عالم الفكر ومجلة فصول ومجلة إبداع القاهرية ومجلة الثقافة الجزائرية ومثلها مجلة التبيين، ومجلة دبي الثقافية ومجلة الراصد الإماراتية ومجلة البيان الكويتية. . . الخ، من المجلات التي لا نملك المساحة للإشارة إليها كلها.

إلى جانب ذلك فقد مكنها تواجدها في لبنان وامتلاكها لدار نشر باسمها من الانتشار بسرعة مذهلة، تستحقها، وربما كان لذلك الأثر الأوفر في شيوع اسمها إعلاميا وثقافيا وإبداعيا. وقد لا يرضي ذلك البعض، إلا أن ما تمتلكه أحلام من قدرة إبداعية خلاقة وجرأة في الطرح والجدل والتلميح والاستعارة والتصوير واقتناص الأفكار، يعطيها المناعة ضد الصداً أمام التاريخ الأدبي وأمام وسائل الإعلام، بل. . . وأمام الزمن والمكان كذلك.

إن أحلام التي تقول عن ثقافتها بأنها: "ثقافة الجمل الجميلة. . . من جملة أصنع كتابا، لا آخذ الجمل من كتاب وفلاسفة بل آخذها من سائق التاكسي. . . إنها فلسفة الحياة بالنسبة لي." (20) وفي هذا الصدد ترى أحلام مستغانمي أن صوت (جاهدة وهبة) التي غنت قصائدها. " يرفع أي نص نشرى إلى مستوى آخر"، موضحة، مسجلة اعترافها بالفضل: "لقد أضافت الكثير إلى قصائدي، وأنا مرتاحة جدا إلى التعامل مع اسم نظيف سياسيا، وأخلاقيا، ويشاطرنى أفكاري، ومبادئ في الحياة" (21).

3- قد يبدو غريبا إجراء مقارنة نقدية بين كتاب أحلام (نسيان كوم)، وكتاب عائض القرني (لا تحزن)، لاختلاف توجههما بحيث تكتب أحلام بلغة أدبية عاطفية، وجدانية، ذاتية خاصة وبغنائية مفرطة تقترب من غنائية الشعر رغم ما يلفها من إيقاع سردي ونبر حكاوي. . . جاء على لسان أحلام مستغانمي مثلا في عنوان (ذاك الكبرياء القاتل للحب) قولها: ". . . الرجل لا يحب التنزيلات، يريد ما ندر وغلا. . . فليكن. . . ادخلي حلبة صمته، ستكبرين بالصبر عليه، استمتعي بالانقطاع عنه، لا تعيشي قطيعته عذابا، عيشيها تمرينا في الكبرياء وإعلاء شأنك. . ." (نسيان com، ص225).

في حين يكتب عائض القرني بلغة دينية أقرب إلى لغة الوعظ والإرشاد والتوجيه في قالب يقترب من السرد والحكي والتمثيل في نسق ثقافي يبدو محدود الأفق لا يخص سوى الفئات الدينية التي تتقبل الأفكار الدينية. جاء على لسان عائض القرني قوله في عنوان (وقفة): "لا تحزن أن كنت فقيرا فغيرك محبوبوس في دين وإن كنت لا تملك وسيلة نقل. فسواك مبتور القدمين. وإن كنت تشكوا من الأم فالآخرون يرقدون على الأسرة البيضاء. . . لا تحزن: لأنك تطلق أعصابك وتهز كياناتك وتتعب قلبك وتقض مضجعتك وتسهر ليلك. (لا تحزن، ص 98- 99)

4- إن ما يجمع بينهما هو الموضوع، وما يحيط به من إثارة وفضول. إنهما يلتقيان بطريقة أو بأخرى في طريقة الطرح. . . وفي بحث كل منهما عن قارئ معين. . . بذكاء ومناورة وهي وسيلة دعوية تختلف نبرتها من موقف إلى آخر، ومن موضوع إلى آخر، عند كل من أحلام مستغانمي وعائض القرني. إذ نجد (أحلام) مثلا تنصح المرأة بهذه الطريقة: "لا تعجبي إن تمرد عليك برغم هذا ولا تحزني. الحب الكبير يخيف رجلا ما عرف قبلك امرأة. إنه ينسحب ليحتمي رجولته من إغداق أنوثتك وليتداوى من تلاشيه فيك. لكنني لا أعرف رجلا شفي من سرطان الروح بتأوله" أسبرين "الكذب على الذات لا أحد تعافى من حب كبير تقول التقارير العاطفية." (نسيان com، ص 88)، إن دواء النسيان هو الحب. أو هكذا تطرح أحلام موضوعها، بينما يطرح الفكرة نفسها عائض القرن في (إشراقه المحيا) بهوية ثقافية أخرى بطريقة النصح كذلك بهذا الشكل: "ابتسم أمام كل أزمة عند كل مصيبة ومع كل ألم لأن التحسر والبكاء والندم لا يجدي لكن التبسم إعلان للانتصار وإظهار للظفر وتعزية للنفس وإثبات للصبر ورضا بالقدر واعتراف بالواقع. . ." (لا تحزن، ص 51)

5- إنهما يبحثان عن قارئ يعاني من النسيان أو الحزن، مع العلم أن هذا القارئ الضمني بمفهوم إيزر⁽²²⁾ هو الذي يقرأ لعائض القرني، وقد يكون نفسه القارئ الذي يتجذر في نص أحلام مستغانمي. إذ يجد لنفسه مخرجا من الحزن من خلال خاصية النسيان. . . وهذا ما يظهر من خلال الحضور الطاغي لعنوان الكتاب على الغلاف في كل من (نسيان كوم) و(لا تحزن) بحجم أكبر من حجم اسم الكاتب سواء بالنسبة لأحلام أو لعائض. . .

6- من زاوية أخرى فإن عامل اختلاف طريقة العرض (رواية، كتاب)، قد لعب دوره بشكل جيد جدا في الكتابين. . . فكل منهما استطاع أن يخاطب القارئ مباشرة، من خلال عملية عرض الأفكار عليه مجردة من أي أسلوب أدبي أو حبكة قصصية حيث يدخل الكاتب والقارئ في مواجهة مباشرة، وكأنهما في خضم حصة تلفزيونية لا يحتاجان فيها إلى وسيط سوى عنصر اللغة. . . فالصمت حكمة المرأة الذكية الذي يتقي الحياة من شوائب الحب، ولهذا كانت أحلام تصنع حكمتها الإنسانية بهذا الشكل: "الصمت اختبار، طوبى لمن نجح فيه مهما طال. إنه يفوز إذن بالتاج الأبدي للحب. . . أو بإكليل الحرية" (نسيان com، ص 161)

في الجهة المقابلة نجد عائض القرني يتوخى الحكمة في تحاشي الغضب، وهو الصمت نفسه، إذ يقول: "لا تغضب أيها الإنسان على الإنسان، لأن بيننا أخوة في رحلة الحياة القصيرة فنحن من أب وأم وركبنا سفينة نوح سويا وابتلينا بحياة النكد والكد والكيد، فلا تزدها غما وهما وغضا، فما فيها يكفيها." (لا تحزن، ص 58).

إن إشراك القارئ بهذه الطريقة الرمزية في صياغة الخطاب بارز لدى الكاتبين، وكلاهما يفعل قدراته الإبداعية والأبستمولوجية مع إضفاء نوع من التعددية على محتوى

النص عن طريق اللعب والتوليد للمعاني، وذلك بغرض إحداث تناغم بين القارئ والخطاب، مما يعطي للمخيلة فرصة للانصهار والانسجام. (23)

7- يسعى كل منهما إلى تقديم النصيحة وقلب الصفحة نيابة عن القارئ... البحث عن الآليات الوجدانية المناسبة للنصح والإرشاد من خلال تشكيلات متغيرة لا حصر لها لأنها تصاغ طبقاً لاعتبارات تفرضها المواقف التي تتماشى مع نمط الخطاب...

هاهي أحلام تقدم (نصائح بقطيع من الجمال) إلى درجة أنها تشعل نار الغيرة في المرأة في سليقة فطرية مشوبة بنزعة أنثوية عدوانية: "... إن كنت تودين إسعاده واصلني التكيل بنفسك. فلا هدف له إلا تعذيبك على جريمة، وحده يعرفها. يحتاج أن يزهق روحو ليتأكد من براءتك. إن كنت مولعة بالعشق الفاشستي ومشتقاته أشري. إنه يعد لك محرقة حطبها... غباؤك." (نسيان com، ص93).

هذه الفكرة نفسها تقريباً يطرحها عائض القرني بوجدان فيه هدوء ووقار وبعد عن الانفعال حين يقول في خطاب بعنوان (احذر العشق): "إياك وعشق الصور فإنها هم حاضر وكدر مستمر. من سعادة المسلم بعده عن تأوهات الشعراء وولهم وعشقتهم، وشكواهم الهجر والوصل والفرق، فإن هذا من فراغ القلب. (لا تحزن، ص 260).

إن هذا الخطاب يبنى على ما يسميه بعض الدارسين السيميائيين الدليل-التفكري- الذي يتشكل في ذهن كآلية منتجة للمعنى⁽²⁴⁾ ولولا هذا الانغلاق الفكري المحصور في الوجهة الدينية إلى درجة التحنط إبداعياً لقلنا عن عائض القرني إنه رجل الإشارات الدالة.

8- يضع كل منهما نصب عينيه هدفاً واحداً... هو الوصول إلى قلب القارئ بالدرجة الأولى، وعقله بالدرجة الثانية عن طريق استمالة عاطفة معينة لدى القارئ. ، بحيث يخاطب عائض القرني في القارئ عاطفته الدينية. التي هي فطرة في الإنسان مما يجعل عديد القراء يجدون فيه ما يستجيب لحاجاتهم النفسية، وما يروي عطشهم إلى المعرفة الدينية التي يجدون فيها الأجوبة المناسبة لحل مشكلاتهم النفسية. ومن ذلك قوله: "إن التشويش الذي يعيشه الإنسان في الأربع والعشرين ساعة كفيل أن يفقده وعيه، وأن يقلقه، وأن يصيبه بالإحباط، فإذا رجع وأنصت وسمع وتدبر كلام المولى بصوت حسن من قارئ خاشع، ثاب إليه رشده، وعادت إليه نفسه، وقرت بلابله وسكنت لواعجه." (لا تحزن، ص 275- 276)

إن عائض القرني يصر على مخاطبة القارئ من خلال عقله عن طريق نوع من اللغة التداولية الإقناعية رغم أدبية الخطاب البعيدة، المتنوعة في وسائلها وأشكالها الحجاجية.

بالمقابل تميل أحلام مستغانمي في نسيان com إلى نوع من الأسلوب الاستفزازي للقارئ الرجل على الخصوص بهذه اللغة: "... أي الخيارين الأكثر خيانة وإذلالاً للرجولة: أن تستعين

امرأة على نسيان رجل برجل آخر؟ أم أن تلجأ إلى قط لينسيها رجلا، بعدما لم تجد شيئا منه يساعدها على انتظاره؟" (ص 197).

إن أحلام بهذا الشكل لا تسعى لإقناع المرأة، ولا تخاطب عقلها، إنما تريد إشعال المزيد من اللوعة فيها، لأنها تدفعها إلى الإحساس بالقهر الإنساني، وهو مؤشر سيميائي يدل على الإحساس العنيف لدى أحلام مستغانمي ضد لحظة أو لمسة أو مشهد مرتبط بالرجل قد يكون جرحا غائرا في مفكرة المرأة أحلام مستغانمي. وربما استنطق الدارسون النفسانيون لا شعورها الوجداني العميق، وربما كان الحقل المعجمي الذي بنى عليه نسيان com والحافل بهذا النمط الدلالي العنيف خير دليل على ما تحبأه أحلام من فتاعات إنسانية أولا وفلسفية ثانيا.

9- تستغل أحلام الجانب العاطفي المهمل لدى المرأة لتصل إلى ما تريده*، فتصيب المرأة في نقطة ضعفها وهو قلبها لتصل إلى التأثير فيها بلغة نسائية خالصة " *Elle investit le quotidien banal des femmes* " وقد جعلت من المرأة والرجل أبطالا في مسلسل النسيان. وجاء هذا الكتاب في قالب توجيهي وإرشادي للمرأة بالذات فيشرح للمرأة الكيفية التي يجب أن تكون عليها في تعاملها مع الرجل سواء كان الزوج أو الحبيب، فهو عبارة عن نصائح جميلة في الحب، حسب أحلام مستغانمي للتخلص من جبروت الرجل. إنها عملية جراحية لتستأصل من خلالها ورم العشق: " على كل امرأة أن تخلق الخلطة السحرية لعطر لن تضعه امرأة سواها. إنه عطر نسيانها الشخصي الذي تلغي به عطر الماضي وعطر النساء الأخريات في ذاكرة رجل أو تلغي به زما ولي مع رجل. " (نسيان com، ص 201- 202).

مقابل ذلك نجد عائض القرني يبحث عن متفلس يعيد للإنسان إحساسه بالسعادة كي لا يضيع هباء في الزمان والمكان: " السعادة ليست في الزمان ولا في المكان، ولكنها في الإيمان، وفي طاعة الديان وفي القلب والقلب محل نظر الرب فإذا استقر اليقين فيه، انبعثت السعادة فأضفت على الروح وعلى النفس اشراحا وارتياحا، ثم فاضت على الآخرين فصارَت على الظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر. " (لا تحزن، ص 280).

إن مفهوم الحياة الطيبة تكمن في البحث عن أسباب السعادة ونسيان الألم وتجاوزه عند القرني، بينما يكمن مفهوم الحياة عند أحلام مستغانمي في تعميق لوعة المرأة، اعتقادا منها أن ذلك يمكنها من نسيان الألم. إنها تحفز المرأة على الانكسار بصمت مما يضعها في موقف المنتحر الأبدى.

8- يعتمد كل من الكاتبتين (أحلام مستغانمي وعائض القرني) في تعبيرهما عن فكرة النسيان وطرحهما للموضوع على استلهم واستدعاء جملة من الأقوال والحكم وحتى الأمثال الشعبية التي تقوي عصب موضوع كل كتاب وتغذيه. من ذلك تعتمد أحلام مستغانمي على عدد من مقولات الكتاب والمفكرين والشعراء والأدباء مثل (فقيد الشعر بسام حجار،

والأديب لورانس كامبي والروائي بلزاك والشاعر إبراهيم ناجي ومحمود درويش وألفريد كابوس والروائي إبراهيم الكوني والفرید ديموسيه وأبي نواس وولادة بنت المستكفي وقيس لبنى وغاريسيا ماركيز وغازي القصيبي والإمام علي وأنسي الحاج وعباس العقاد وغيرها من الأسماء الثقافية والأدبية والتاريخية، إذ لا تتردد في الاستئناس بمقولة تتكئ عليها كأنما تريد إقناع القارئ من خلال هذه الأسماء، وهي لا تتردد كذلك في تطعيم خطاباتنا بكثير من المقولات والحكم والأمثال الشعبية: "كل ما تنزل دمة تضوي شمعة" (مثل جزائري) وأحيانا تلجأ إلى بعض الآيات القرآنية في نوع من التناص أو الاستدعاء المباشر في أحيان كثيرة. ومثلما تستلهم القرآن كذلك الأحاديث والأدعية والأقوال الشعرية. (ص241، ص240، ص238).

خلاف ما تتبعه أحلام فإن عائض القرني يمارس الخطابة بشكل مباشر مرتكزا على القرآن والسنة وأقوال الصحابة وغيرها. . منفتحا على التاريخ والشعر والأحداث والشخصيات والأفكار التي تمثل عبرا مفيدة للوعظ وهو لا يتردد في التشديد على أن فن السرور ينبثق من العمل المثمر بشهادة القرآن "وتوكل على الحي الذي لا يموت" إنه شاعر عندما يريد، وخطيب عندما يريد ومؤرخ ومحلل اجتماعي وطبيب نفسي، أدواته ووسائله مفتوحة على التراث الإنساني الفكري بلغة دينية محضة حتى في انتقاء الأشعار ومنها شعر الشافعي:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء

10- ينتهي كل من كتاب أحلام مستغانمي وعائض القرني بنفس الطريقة من دون خاتمة معلقة للكتاب فيختم كل منهما كتابه انطلاقا من آخر نصيحة يقدمها للمتلقى الحزين أو الذي يبحث عن النسيان. فقد ختم عائض كتابه من خلال نصيحة يقول فيها: "وفي الختام، تقبل تحياتي، وهاك سلامي مقرونا بدعائي لك بالسعادة، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك." (لا تحزن، ص 456)، وقد بنى نهاية كتابه حتى لا أقول خاتمة على اختياره لعدد هائل من المقولات الحكيمة المعبرة الموجزة التي تؤكد إيثاره للسعادة وقد اتخذ منها حجة للإنسان حتى يكون أسعد الناس ومنها على سبيل المثال: "ما مضى فات، وما ذهب مات، فلا تفكر فيما مضى، فقد ذهب وانقضى" وقوله: "الكتاب أحسن الأصحاب، فسامر الكتب وصاحب العلم ورافق المعرفة." وقوله: "قبل أن تنام سامح الأنام واغسل قلبك بالعفو سبع مرات وعضره الثامنة بالغفران تجد حلاوة الإيمان." (لا تحزن، ص 407 - ص455 أي قبل العبارة الأخيرة من الصفحة الأخيرة.)

الأمر نفسه بالنسبة لأحلام مستغانمي التي ختمت هي الأخرى كتابها بآخر نصيحة تقدمها للنساء، فتقول في آخر فقرة من آخر نصيحة والموسومة بـ: (والآن... حلوا عني) تسابير فيها ما وقعته في أعلى غلاف الكتاب: "أقسم بالله العظيم، والله ثم والله إن لم تتفطن لأكتبن كتابا خاصا بالرجال، يحظر بيعه عليك، أسدي فيه لهم نصائح

لنسيانكنَ " دبروا راسكم " ما عاد لي علاقة بالنسيان، إنني ذاهبة لأهيئ لكنَ " كتاب الفراق ". أعد كنَ بأن يكون جميلاً بقدر ما كان هذا الكتاب مفيداً، أتمنى ألا تأتي إحداكن في المستقبل لتشكوني ذاكرة عشقية ما، بعد الآن النسيان... " نسيان. كم " (نسيان .com ، ص229)

من خلال ما تقدم نستطيع القول أن كليهما كان يطمح إلى النصح والإرشاد في العمق، أي تقديم النصيحة للقارئ ولو من وجهة نظر مختلفة الأشكال في كل الأحوال. إن الإبداع حقيقة إنسانية وقد نجح كل من عائض القرني وأحلام مستغانمي في تحقيق التواصل الثقافي وخلق قارئ له مواصفاته وشروطه الموضوعية وآلياته في الاستهلاك والاستيعاب والوعي.

الهوامش والإحالات:

(1) أحلام مستغانمي، نسيان .com ، دار الآداب، بيروت، ط1، 2009

(2) د.عائض القرني، لا تحزن، العبيكان للنشر، ط25، 2011

* حول عنوان الكتاب تقول أحلام مستغانمي: " أنها ترددت في وضع نقطة بين الكلمتين نسيان وكوم حتى يتمكن القارئ من قراءته على الشكل التالي " نسيانكم " ، مشيرة إلى أن " نسيان .com " هو الجزء الأول من رباعية ستصدر لاحقاً، وتتناول فصول الحب الأربعة، " فبعد النسيان يأتي فصل "لوعة الفراق " ، ثم فصل " اللقاء والدهشة " ، ثم فصل " الغيرة واللهفة ".

(3) انظر، تحليل الخطاب الروائي، - الزمن، السرد، التبئير- ، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط2005، 1، ص314.

(4) انظر، تصريح أحلام مستغانمي: " كتابي الجديد علاج للنساء بواسطة الضحك "، عرب نت 5،

15 يوليو 2009.

(5) سيميائيات الأهواء - من حالات الأشياء إلى حالات النفس-، ألجيرداس، ج، غريماس، جاك فونتيي،

ترجمة وتقديم وتعليق سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ص237، وما بعدها.

(6) أحلام مستغانمي: كتابي الجديد علاج للنساء بواسطة الضحك، مرجع سابق.

(7) المعروف عن أحلام مستغانمي أنها صاحبة ديوانين شعريين في مسار تجربتها الأدبية منذ المراحل

الأولى، وهما " على مرفأ الأيام"، وديوان "الكتابة في لحظة عري"، وتعتبر من بين الأسماء السبعينية في تجربة الشعر الجزائري المعاصر.

(8) انظر غلاف "نسيان .com" في هذا الشأن.

(9) انظر، نفسه، للتأكد من خصوصية غلاف الكتاب.

(10) تراجع مثلاً ظاهرة الاختفاء المفاجئ لدى الرجال، ص169، كما ينسى الرجال، ص155،

ليس الحب وإنما النسيان هو رجل حياتك، ص169.

(11) نسيان com، ص 5، ص 7.

(12) انظر، نجيب محفوظ الرمز والقيمة، جابر عصفور ص 65، ص 72 المجلس الأعلى للثقافة،

الدار المصرية اللبنانية 2010.

(13) نسيان كوم، ص 11.

(14) نفسه ص 09.

(15) يراجع في هذا الشأن:

Figures 2. Gérard Genette. (Ed. Seuil. Paris 1969)

Figures 3. Gérard Genette. (Ed. Seuil. Paris 19 72)

(16) يراجع، نظرية التلقي - مقدمة نقدية - ، روبرت هولب، ترجمة د. عز الدين إسماعيل،

المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000، ص 97.

(17) يراجع، في المناهج النقدية المعاصرة، د. أحمد بوحسن، دار الأمان، الرياض، ط 2004، ص 1، ص 27

(18) 19 - 20 - 21 - انظر، تصريح أحلام مستغانمي حول كتابها نسيان com، تقول فيه:

"كتابي الجديد علاج للنساء بواسطة الضحك"، عرب نت 5، 15 يوليو 2009.

(22) نظرية التلقي، روبرت هولب، ترجمة عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص 136.

(23) تراجع هذه الفكرة من خلال، درس السيميولوجيا، رولان بارط، ترجمة ع، بنعيد

العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1986، ص 62 - 63.

(24) يراجع، آليات إنتاج النص الروائي، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون،

ومنشورات الاختلاف، ط 1، 2008، ص 187.

* لم تكتف مستغانمي هذه المرة بحضورها التلفازي، ولا بالكتابي بل أضافت إليه حضورا بالغا

على شبكة " الفيس بوك"، إذ ارتدت هنالك عباءة الدعاة والمشايخ، وبدأت بتوجيه خطاب لبنات

جنسها (النساء) يتسم بروح دينية، ونفس دعوي، فكتبت في صفحتها على الفيس بوك: أخيرا حزمة

من المواعظ والنصائح تعين المرأة على اختيار الرجل المناسب لها، وقد حظيت المواعظ بإعجاب أكثر

من خمس مائة قارئ وقارئة"، (مصطفى عثمان، مستغانمي داعية على " الفيس بوك"... تحرض

النساء على الرجال، جريدة الشروق، ثقافة، العدد 3055.